

الخصائص

كان في معنى ما لا بدّ من صحّته وقولك وكانت الحركة غير لازمة فلم نرك أو رده إلاّ -
لتستثني به ما يورده الخصم عليك مما صحّ من الياء والواو وهو متحرّك وقبله فتحة
وكأنك إنّما جئت إلى هذه الشواذّ التي تضطرّك إلى القول بتخصيص العلل فحشوت بها
حديث علاّتك لا غير وإلاّ فالذي أوجب القلب في خاف وهاب من استثقال حرفي اللين متحرّكين
مفتوحا ما قبلهما موجود البتة في حول وصيد وإذا كان الأمر كذلك دلّ على انتقاض العلّة
وفسادها .

قيل لعمرى إنّ صورة حول وصيد لفظاً هي صورة خوف وهيب إلا أنّ هناك من بعد هذا
فرقا وإن صغر في نفسك وقلّ في تصوّررك وحسّك فإنه معنى عند العرب مكيين في أنفسها
متقدّم في إيجابه التأثير الظاهر عندها وهو ما أوردناه وشرطناه من كون الحركة غير لازمة
وكون الكلمة في معنى ما لا بدّ من صحّة حرف ليينه ومن تخوّفهم التباسه بغيره فإن
العرب فيما أخذناه عنها وعرفناه من تصرّف مذاهبها عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها
بألفاظها وسنفرّد لهذا بابا نتقصّاه فيه بمعونة الله أو لا تعلم عاجلاً إلى أن تصير
إلى ذلك الباب آجلاً أنّ سبب إصلاحها ألفاظها وطردّها إيّاها على المثّل والأحذية
التي قدّنتها لها وقصرتها عليها إنما هو لتحسين المعنى وتشريفه والإبانه عنه وتصويره
ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل ونصب المفعول إنّما هو للفرق بين الفاعل والمفعول وهذا
الفرق أمر معنوي أصلح اللفظ له وقيد مَقَّاده الأوفى من أجله .

فقد علم بهذا أن زينة الألفاظ وحلاّيتها لم يُقصد بها إلاّ تحسين المعاني وحياطتها
فالمعنى إذا هو المُكْرَم المخدم واللفظ هو المبتذل الخادم